مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية

المجلد ( 09 ) العدد ( 05 ) السنة ( 2022) الصفحة 113-128

# قضايا التأويل والفهم في كتاب "الحقيقة والمنهج" لهانز جورج غادامير

# *Interpretation and* understanding issues in the book: *Truth and* Method by Hans Georg Gadamer

معلومات البحث

**تاريخ الاستلام: 2022/07/15**
**تاريخ القبول:2022/11/15**

**Printed ISSN: 2352-989X**
**Online ISSN: 2602-6856**

عدلان رويدي*

**جامعة محمّد الصديق بن يحي– جيجل (الجزائر)،**

**rouidiadlene@yahoo.fr**

**الملخص:**

هانز جورج غادامير من الفلاسفة الكبار في الفلسفة الغربية المعاصرة والفلسفة التأويلية الألمانية على وجه الخصوص، وقد ألّف العديد من الكتب النقدية والفلسفية، في نظرية التأويل، وفلسفة القراءة، وعملية الفهم.

يحاول هذا المقال إلقاء الضوء على كتاب هانز جورج غادامير الحقيقة والمنهج، وهذا من خلال التعريف بهذا الكتاب ونظرية التأويل عنده، ثم أهم المفاهيم النقدية الواردة في كتابه هذا، كمفهوم الهيرمنيوطيقا والأفق التاريخي والفهم الأنطولوجي.

**الكلمات المفتاحية**: التأويل، هانز جورج غادمير، الهيرمنيوطيقا، الفهم، القراءة.

**ABSTRACT**

Hans Georg Gadamer one of the great philosofphers in contemporary western philosophy and German Hermeneutics philosophy in particular, he has authored many critical and phlosophical books , on the *theory of interpretation and philosophiy of reading* and process of understanding.

*This Article attempts to shed light on* Gadamer,*s book :Truth and* Method *, and this is through introducing this book and this interpretation theory, then the most important Critical Conscepts Contained in this book as the conscept of Hermeneutics,and Historical Horizon and ontological* understanding.

**Keywords**: *interpretation ;* Hans Georg Gadamer *;* Hermeneutics *;* understanding;.*Reading.*

* المؤلف المرسل

**1. مقدمة:**

هانز جورج غادامير Hans Georg Gadamer من القامات الفلسفية والنقدية المؤثرة في المشهد الفلسفي والفكري الغربي المعاصر، وواحد من الفلاسفة الألمان الأكثر اشتغالا في نقد مناهج البحث في العلوم الانسانية، حيث داع صيته بين المفكرين الألمان المعاصرين، إلى جانب هايدغير Heidegger وهابرماس Habermas، ومن الفلاسفة الأكثر تأثيرا في المشهد الفكري الغربي الحديث، وهو معمار نقدي بارز في الفلسفة التأويلية الألمانية، فهو من المؤسسين الكبار لنظرية التأويل، ويمثل قطبا مهما من أقطاب الهيرمنيوطيقا، وقد ترجمت كتبه من الألمانية إلى عدّة لغات أخرى، كالإنجليزية والفرنسية والعربية، خصوصا كتابه العمدة "الحقيقة والمنهج"، حيث اشتغل على مدارسته العديد من المفكرين والفلاسفة والدارسين في مختلف البيئات الغربية، إلى جانب المفكرين العرب، ويعتبر كتابه "الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية" من الكتب المحورية والإشكالية الأكثر حضورا في المشهد الفلسفي الغربي المعاصر، نظر لما يشتمل عليه هذا الكتاب من مباحث ومحاور متعلقة باستراتيجية التأويل والمشروع الهيرمنيوطيقي ونقد المناهج التقليدية في العلوم الإنسانية خصوصا ما تعلق بعلم التاريخ والفن، إلى جانب الفهم وعلاقته بالتأويل، ومجموعة من التصورات الفكرية المرتبطة بالنشاط التأويلي، وقد ساهمت هذه الأفكار في ازدهار نظرية التأويل، وفتحت آفاقا عديدة تخص مسألة المنهج في العلوم الإنسانية لذلك لقي هذا الكتاب اهتماما واسعا من قبل الدارسين والمهتمين بحقل القراءة والتأويل، والنقد على اختلاف مشاربهم العلمية وتياراتهم الفكرية.

والمشاريع الفكرية والتأويلية العربية بمختلف مذاهبها، لم تكن غافلة عن هذه النظريات العلمية الجديدة، فقد اشتغلت على دراسة هذه المدونات النقدية والفلسفية، من أجل البحث عن أنوار جديدة تنير للمفكر العربي طريقه في تأويل النصوص والخطابات، سواء الإنسانية أو الالهية، وهذا من أجل تشييد معمار فكري ونقدي عربي، يساير المتغيرات والهزات العلمية التي تشهدها المنظومة الفكرية العالمية، وتجلى هذا من بوّابة الترجمة والمثاقفة، حيث ترجم هذا الكتاب من الألمانية والإنجليزية إلى اللغة العربية لخدمة المفكر والناقد العربي.

وفي هذا السياق يمكن طرح العديد من التساؤلات المتعلقة بهذا الكتاب النقدي، والمتمثلة فيما يلي:

ماهي أهم المحطات التي توقف عندها هذا الكتاب النقدي؟ وما هي أهم قضايا التأويل والفهم عند غادامير؟ وما هو موقفه من قضايا المنهج في العلوم الانسانية؟ وما هو تصوره الأنطولوجي لتأويل العمل الفني؟

كل هذه التساؤلات يهدف هذا المقال إلى الإجابة عنها، من خلال اعتماد الخطة المنهجية التالية:

-التعريف بصاحب الكتاب.

-وصف الكتاب.

-سؤال المنهج في العلوم الانسانية.

-الظاهرة التأويلية.

-معظلة علم التفسير عند غادامير.

-سؤال الفهم/اللغة.

-الهيرمنيوطيقا كبديل منهجي.

-أنطولوجيا العمل الفني ودلالته التاويلية.

-مفهوم الأفق التاريخي.

**2-التعريف بصاحب الكتاب:**

هانس جورج غادامير Hans Georg Gadamer(1900-2002) درس ببرسلاو وماربورغ وميونيخ، حصل على الدكتوراه الأولى بإشراف باول ناتروب، وعلى الدكتوراه المؤهلة بالتدريس في الجامعة بإشراف هيدغير Heidegger في جامعة ماربورغ 1929، وصار أستاذ كرسي في الفلسفة في جامعة ليبتسج عام1939، ثم انتقل لجامعة فرانكفورت في1943 وهيدلبرج عام،1949، وشغل منذ 1953 رئاسة تحرير المجلة الفلسفية، من كتبه المهمة "الأخلاق الديناليكتية عند أفلاطون"، و"التفسير والنزعة التاريخية التفسير الفلسفي"، و"مشكلة الوعي التاريخي"، و"الحركة الفينومينولوجية والديناليكتيك والسفسطة"، "مادة التفسير في المعجم التاريخي للفلسفة"، و"طرق هيدغير" (غادامير، 2007، صفحة 15)، وهذا الكمّ الكبير من الكتب الفلسفية والفكرية، يظهر مدى غزارة إنتاجه العلمي والفكري وتنوعّه، كما يبرز قدرة هذا الفيلسوف في التأثير على الساحة الفكرية المعاصرة، خصوصا في مجال العلوم الإنسانية، التي كانت له فيها بصمة واضحة في إثارة العديد من الإشكاليات والقضايا الإبستيمولوجية المتعلقة بهذا العلم.

**3-وصف الكتاب:**

كتاب "الحقيقة والمنهج Vérité et Miyhode الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية"، هو الكتاب العمدة لهانس جورج غادامير Hans Georg Gadamer، ترجم إلى اللغة الإنجليزية مرات عديدة، كما هو الحال مع الفرنسية وترجمه إلى العربية المترجمان والباحثان حسن ناظم وعلى حاكم صالح من العراق، مراجعة جورج كتورة، عن دار أويا للنشر والتوزيع، الجماهيرية العظمى، ليبيا، الطبعة الأولى 2007.

هذا الكتاب الفلسفي والنقدي ضخم من الحجم المتوسط، جاء في أكثر من 744صفحة، مع احتوائه على مجوعة من الملاحق الفرعية، ثم ثبت المصطلحات المهمة والأعلام.

يتشكل من مقدمة باللغة العربية وأخرى باللغة الإنجليزية، ثم مقدمة المترجمان ثم توطئة للطبعة الثانية، وهو مقسم إلى ثلاث أبواب كبرى، وكل باب يحتوي على فصول، والفصول بدورها تحتوي على مباحث، الباب الأول حول سؤال الحقيقة في تجربة الفن، حيث يتفرغ فيه بالتحليل لكل العناصر التي لها علاقة بالفن والجمال حيث قسمه إلى ثلاثة فصول، الفصل الأول كان حول تعالي البعد الجمالي، ويحتوي بدوره على ثلاثة مباحث، خصص المبحث الأول للحديث عن أهمية التراث الإنسانوي للعلوم الإنسانية، مفصلا في قضية المنهج الذي يعد محورا رئيسيا في مشروع غادامير Gadamer، لينتقل إلى المفاهيم الموجهة للنزعة الإنسانية كالثقافة والحس المشترك والحكم والذوق، باعتبارها عناصر أساسية، توجه الذات الإنسانية وتخلق إيديولوجيتها، ثم انتقل بعدها في المبحث الثاني إلى إضفاء طابع ذاتي على علم الجمال، من منظور النقد الكانطي، من خلال تناول مذهب كانط Kant في الذوق والعبقرية، والتمييز المتعالي للذوق، ومذهب الجمال الحر والجمال التابع، ومذهب نموذج الجمال، والمتعة التي يثيرها الجمال الطبيعي والجمال الفني، والخبرة والجمال المقدس، الذي يبتعد عن كل المنافع المادية فهو غاية في حدّ ذاته، ثم ينتقل للحديث عن العلاقة التي تربط بين الذوق والعبقرية، وعلم الجمال الخبرة والعبقرية، وحدود فن الخبرة وردّ الاعتبار للامثولة، ليعاود فيما بعد في المبحث الثالث الحديث عن سؤال الحقيقة الفنية تحديدا، والتباس الثقافة الفنية، ونقد التجريد المتأصّل في الوعي الجمالي.

وقد خصص الفصل الثاني للجانب الانطولوجي للعمل الفني ودلالته التأويلية، فخصص المبحث الأول لمفهوم اللعب كأحد المفاتيح الأساسية للتفسير الأنطولوجي وتحوله إلى بنية ووسط كلي، ثم الحديث عن زمانية الجمالي والتجريدي لينتقل إلى النتائج الجمالية والتأويلية في المبحث الثاني.

أمّا الباب الثاني فقد وسّع فيه من سؤال الحقيقة إلى الفهم في العلوم الإنسانية، وهو سؤال عميق ومعقد في أبجديات الفهم الغادامير، ومصطلحاته المتشاكلة، وقد كان المبحث الأول منه عبارة عن مساءلة للتأويلية الرومانسية وتطبيقها على دراسة التاريخ، حيث انطلق من المرحلة السابقة لها، وصولا إليها ثم معرّجا نحو عصر الانوار، والتوقف عن التأويلية الكلية عند شلاير ماخرSchleiermacher كأحد الطفرات النوعية في تشكيل هذا المشروع، ثم رؤية العالم عند رينكه Rinkah والعلاقة بين الدراسة التاريخية والتأويلية عنده، ثم يقوم بالربط بين المدرسة التاريخية والتأويلية عند يوهان غوستاف درويزن Johann Gustav Droysen، ليخصص المبحث الثاني لنقد النزعة التاريخية ومآزقها وهنّاتها مع ديلتايDilthey، فيتوقف عند مسائل جوهرية تطرحها هذه القضية ومنها: من مشكلة التاريخ المعرفية إلى الأساس التأويلي للعلوم الإنسانية، والتعارض بين العلم وفلسفة الحياة عند ديلتاي Dilthey، ليجد البديل لهذا المأزق المنهجي في المبحث الثالث ضمن البحث الظاهراتي، مستفيدا من مشروعي إدموند هوسرل Edmund Husserl وكونت يورك c.york في الحياة، وبحوث هيدغير Heidegger في التأويلية الظاهراتية.

أمّا الفصل الثاني فتناول فيه بالتفصيل نظرية عناصر التجربة التأويلية، مركزا في المبحث الأول عن عنصر تاريخية الفهم إلى مبدأ تأويلي، ليصير طرفا رئيسيا في معادلة التأويلية الغادامرية، متوقفا عند تصور Heidegger، ومنتقدا للحكم

المسبق في الدائرة التأويلية وكشف هايدغير Heidegger عن بنية الفهم المسبقة، وتشكيك عصر التنوير في مبدأ الحكم المسبق وتشكيله للفهم، معيدا الاعتبار للتراث وسلطته ضمن عملية التأويل، أما المبحث الثاني فحاول فيه تغطية مشكلة التأويلية الأساسية، وكيفية تطبيقها، مفصلا في مشكلة التطبيق ودور أرسطو في ذلك، والأهمية النموذجية للتأويلية القانونية، معيدا الاعتبار للتأويل والوعي التاريخي الحقيقي في المبحث الثالث، لا بالشكل الذي كان عليه عند ديلتاي Dilthey في ربطه بالتجربة، فتناول ماهية التجربة، والتجربة التأويلية وأسبقية السؤال التأويلية، نموذج الجدل الأفلاطوني ومنطق السؤال والجواب.

أمّا الباب الثالث والأخير فتناول فيه التحوّل الأنطولوجي للتأويلية التي توجهه للغة، باعتبارها بيت الوجود باصطلاح هايدغير Heidegger، فكان المبحث الأول تحليلا لعنصر اللغة كوسيط انطولوجي للتجربة التأويلية، وكتحديد للموضوع التأويلي والفعل التأويلي، لينتقل في المبحث الثاني إلى الحديث تطور مفهوم اللغة في تاريخ الفكر الغربي، واللغة واللوغوسLogos والكلمة، وصياغة المفهوم، وجعل من المبحث الثالث اللغة كأفق لأنطولوجيا تأويلية، فتناول اللغة كتجربة للعالم وكوسيط فكري بين الانسان والعالم، ثم الجانب الكلي للتأويلية، فمن خلال اللغة يكتمل مشروع التأويلية وتظهر معالم المعنى، فهي التي تجمع كل الشتات السابق.

بداية يمكن القول أنّ هذا الكتاب جاء ليفكّك الكثير من الحقائق الإبستيمولوجية المتعلقة بالعلوم الإنسانية وطبيعتها مقارنة بالعلوم الطبيعية، وخاصة التاريخ والفن، فهو يرمي «إلى فك الارتباط بين الحقيقة والمنهج، وقد كان هذا الارتباط واقعا في العلاقة بين المنهج والحقيقة في العلوم الطبيعية» (غادامير، 2007، صفحة 15)، فكان بالنسبة له الأمر حتمي من أجل إعادة النظر في الحقائق المتعلقة بالتراث الغربي، بكل ما يحمله من ثقافة وفن وتاريخ، من أجل مساءلة عميقة لهذا الرصيد المعرفي الثري والمتشعب، من أجل الوصول إلى قراءة علمية جديدة تبتعد عن الدوغمائيات التقليدية، «فالظاهرة التأويلية تنفتح على يد غاداميرGadamer رحبة بل أرحب ما تكون عليه، وذلك حين يختبر تجربة الفن والتراث نشدانا لفهم العلوم الإنسانية عبر التأويلية» (غادامير، 2007، صفحة 14) ، وغرضه من ذلك كله هو تشييد شكل جديد من التأويلية تكون بديلا للمنهج الذي أثبت عقمه في التعامل مع الظواهر الانسانية، ومن أجل سدّ الفجوات المترتبة نتيجة استخدامه، لذلك يرى غادامير Gadamer في المنهج التأويلي ضرورة منهجية في مقاربة العلوم الإنسانية، لأنه سيزيل عنها الكثير من العوارض، والأمراض المنهجية.

**4–سؤال المنهج في العلوم الإنسانية:**

غادامير Gadamer من خلال مقارنته بين المنهج في العلوم الإنسانية، والعلوم الطبيعية، رأى أنّ المنهج في العلوم الإنسانية، عجز في الوصول إلى الحقيقة، ومن أجل تجاوز هذا المأزق الإبستيمولوجي، ينبغي اللجوء إلى الممارسة التأويلية التي تضمن فكّ قيود البحث والحياة، وتفتح طريق الحقيقة.

فالمنهج يجب أن يكون فعّالا، ويوصل للحقيقة، ولا يكون عقيما، وهذا يعتبر من خصائصه الجوهرية، وإلاّ لا داعي لوجوده، «من هنا يرفض المنهج سواء الغاية منه دراسة النص أو الوصول إلى الحقيقة، ولكنه يدرك جيدا أنه شيء يتبع من الذات ليصل إلى نتيجة، وهذه النتيجة ليست كما هو الحال في العلوم الطبيعية، وبغية القضاء على دوغمائية ارتباط الحقيقة بالمنهج، لم يجد غادامير Gadamer ضرورة أن تكون الحقيقة مرهونة بالمنهج(الانفصال بينهما)» (غادامير، 2007، صفحة 15) ، لذلك رفض مفهوم الحكم المسبق في دراسة التراث والتاريخ من خلال الاطلاع على التراث الفلسفي(ديكارت.هوسرل)، فهو يوقع في الذاتية، ويجنب الباحث الموضوعية، لذلك ينبغي« إعادة الاعتبار للتراث كجزء من نسيج التأويلية والممارسة ذاتها التي هي الفهم نفسه، التراث مصدر الأحكام المسبقة التي تفرض سلطتها عليه» (غادامير، 2007، صفحة 16)، وهي تحتكم أساسا للذاتية، وعملية فهم العلوم الإنسانية، يتم خارج التراث الذي أدرك قوة صلته بها، لذلك ينفي اكتساب شفافية تاريخية ذاتية قدر المستطاع، والاهتمام بعالم الفهم أكثر، وبالوعي التاريخي المؤثر، الذي يكون حيادي وغير متأثر بالأهواء والإيديولوجيات، ويكون أقرب إلى الموضوعية العلمية، التي تقربّه أكثر إلى العلوم الطبيعية.

**5–الظاهرة التأويلية:**

مرّت نظرية التأويل في رحلتها التاريخية الطويلة عبر العديد من المحطات، حيث شهد خلالها العقل التأويلي تحوّلا ضخما خلال التاريخ، ومعنى التحول ينبّهنا إلى العلاقة المتشعّبة، التي تقيمها الهيرمنيوطيقا الفلسفية المعاصرة مع تاريخ الممارسات التأويلية، وتعود هذه الممارسات إلى عدّة آلاف من السنين (قارة، 1998، صفحة 06)، وقد شملت في البداية تأويل النصوص الدينية، لكن سرعان ما اتسع نطاق البحث التأويلي، وتشعب معناه في تطبيقاته الحديثة، وانتقل من مجال علم اللاهوت إلى دوائر أكثر اتساعا تشمل كافّة العلوم الإنسانية، كالتاريخ، وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وفلسفة الجمال والنقد الأدبي، والفولكلور (يد ن.، 2003، صفحة 13)، فانفتح بذلك على مجالات معرفية عدّة أكسبته شرعية علمية وقيمة منهجية.

فمنذ القرن التاسع عشر أصبحت الهيرمنيوطيقا Herméneutique تعني بصفة عامة نظرية التأويل، وتكوين الإجراءات والمبادئ المستخدمة في الوصول إلى معاني النصوص المكتوبة بما في ذلك النصوص القانونية والتعبيرية والأدبية والدينية، وأصبح البحث عن نظرية تعنى بتأسيس المعنى، وإدراكه ضرورة ملحّة، حدت بالألماني فريديريك شلاير ماخر Frederic Schleiermacher في عام 1819 إلى الشروع في تأسيس "فن" أو "صنعة" إدراك النصوص عموما، وتقوم هذه التأويلية على أساس أنّ النص عبارة عن وسيط لغوي ينقل فكر المؤلف إلى القارئ، لذلك كان لابدّ أن يقوم علم "فن" يعصمنا من سوء الفهم ويجعلنا أقرب إلى الفهم، وذلك بوضع قوانين ومعايير معينة على عملية الفهم ومن ثمّ تفسير النصوص (يد ن.، 2003، صفحة 20)، وقد مثّل فريديريك شلاير ماخر Frederic Schleiermache، مرحلة مهمة من مراحل تطوّر نظرية التأويل، لأنه أخرج هذا البحث من مجال البحث الديني إلى شتى أرجاء المعرفة الإنسانية، « ويعني شلاير ماخر بفهم النص لغة ما هو كائن لغوي للتراث والتاريخ، ومشكّل من

القناعات والفكر، ومن ثمّ يفهمه في سياق السيرة والتاريخ، هو أن يتقمص المؤول ذهنيا تجارب المؤلف وأفكاره التي ولّدت النص ليدرك قصده قصد المؤلف، وهذا ما يسميه شلاير ماخرSchleiermache الفعل التكهّني، ذلك تأويل يتعدّى عتبة النص المقدس، إلى عالم النصوص الأدبية والفلسفية والفنية، وبذلك ينقل التأويل من اللاهوت إلى نصوص العلوم الانسانية عموما، في حين يعني فهم النص لدى سبينوزا spinoza، هو البحث عن الحقيقة المضمرة في النص، لذلك يأتي فهم شلاير ماخرSchleiermacher تحوّلا من الحقيقة إلى المنهج، إلى آليات إدراك المعنى ومقارنة لهما معا» (غادامير، 2007، صفحة 17)، وهذا المجهود العلمي، يحسب له في تطور نظرية التأويل، حيث جمع فيه بين الجدارة في التأويل الفقهي اللغوي، والكفاءة الفلسفية المكتسبة من المدرسة الترنسندنتالية، فنظر وأمعن النظر في الهرمنيوطيقا كمسألة فهم تأويل الخطاب (قارة، 1998، صفحة 43).

لذلك أمعن النظر في قضية سوء الفهم، التي تحتاج إلى فهم وتأمل، واعتبرها الحلقة الأهم ضمن المشروع التأويلي فالهرمنيوطيقا تمثل لدى شلاير ماخرSchleiermacher حقلا من النشاط يتّحد فيه التأمّل والممارسة ويتبادلان الخدمات (قارة، 1998، صفحة 43).

ثم جاء بعده تلميذه، الفيلسوف الألماني الآخر، فيلهلم ديلثاي Wilhelm Dilthey، ليتبنى تطوير هذا الفكر وقدّم الهيرمنيوطيقا Herméneutique على أنها أساس تحليل، وتأويل أشكال الكتابة في العلوم الإنسانية، توصّل ديلثاي Dilthey أثناء شرحه لنظرية التأويل، إلى ما أسماه "الحلقة الهيرمنيوطقية" ومفادها: كي نفهم أجزاء أيّة وحدة لغوية لابدّ أن نتعامل مع هذه الأجزاء وعندنا حسّ مسبق بالمعنى الكلّي، لكننا لا نعرف المعنى الكلّي إلاّ من خلال معرفة مكوّنات أجزائه (الرويلي، 2003، صفحة 89)، وقد رأى أنّ كل معرفة قائمة على التجربة المعيشة، وأنّ الوحدة الأصلية للتجربة ولنتائجها الصحيحة مشروطان بالعوامل التي تشكّل الوعي وما ينشأ عنه (قطوس، 2006، صفحة 205).

وهذا التفاعل بين هذه العناصر، يسهم في تشكل الفهم، فعملية الفهم من ثمّ تقوم على نوع من الحوار بين تجربة المتلقي الذاتية، والتجربة الموضوعية، الكامنة في الأدب من خلال اللغة. ومن هنا يصل إلى نتيجة مؤداها، أنّ المعنى ليس ثابتا وإنّما يقوم على مجموعة من العلاقات (قطوس، 2006، صفحة 206)، فالفهم غير مستقر وإنّما هو متجدد ومتغير من لحظة زمنية إلى أخرى خصوصا في قراءة الخطابات الاجتماعية والتاريخية، وهذه الرأي هو أقرب إلى الفلسفة الظاهراتية Phénoménologie، خصوصا عند غادامير Gadamer، وهايدغير Heidegger، اللذان يمثلان المرحلة الثانية في تطور نظرية التأويل الحديثة، بفضل جهودهما، التي تشكّلت من خلال طرح ظاهراتي أنطولوجي، فالفهم الحقيقي للأدب والنصوص الإنسانية الأخرى عنده يتأسس على استعادة القارئ للتجربة(التجربة الداخلية) التي يعبّر عنها النص (الرويلي، 2003، صفحة 91).

لذلك يضع غادامير Gadamer في كتابه العمدة " الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية " قواعد التأويل الصحيح التي تجنّب سوء الفهم حيث أسّس عملية الفهم على أساس وجودي، بعيدا عن الميتافيزيقية المتعالية لفكرة الوجود (قطوس، 2006، صفحة 206)، من خلال إضفاء الطابع الوجودي على اللغة والاعتماد على الادراك كمنهج في الفهم، وهذا طرح مارتن هايدغير Martin Heidegger، الذي يطرح قضية الفهم في إطار البحث الانطولوجي وهذا بفعل الوعي، فهو مفتاح مهمّ لفهم طبيعة الوجود، وهذا الفهم تاريخي وآني في نفس الوقت، وعليه فعملية فهم النص عملية هيرمنيوطيقية تدور في دائرة هي الدائرة الهيرمنيوطيقية، والعمل الفني يقوم على التوتّر الناشئ عن التعارض بين العالم والأرض أو بين التجلّي والاختفاء أو بين الوجود والعدم. (يد ن.، 2003، صفحة 30)

في حين نجد غادامير Gadamer يركز على معضلة الفهم، باعتبارها معضلة وجودية، وقد طرح المسألة في كتابه السالف الذكر، ليركّز على علاقة الفهم بالتجربة الكلية للإنسان (يد ن.، 2003، صفحة 30)، وقد كان لإسهامات غادامير Gadamer في تطوير البحث الهيرمنيوطيقي أثرا فاعلا في ظهور مجموعة من الجهود الأخرى، التي اشتغلت في مجال القراءة والتلقي خارج ألمانيا وخارج الإطار الفلسفي والوجودي بصفة خاصة، كجهود بول ريكور Poul Ricoeur في فرنسا وهيرش Hirsh في أمريكا، وعلى أيديهم انتقلت الهيرمنيوطيقا من كونها بنيت على أساس فلسفي لتصير ببساطة "علم تفسير النصوص" أو "نظرية التفسير (قطوس، 2006، صفحة 214)، حيث بدأت في الخروج عن دائرة التجربة، لتسبح في حقول أوسع للوجود الانساني.

وفي كتاب "الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية" يحاول غادامير Gadamer استقصاء الظاهرة التأويلية ضمن مختلف السياقات الشاملة والمحيطة بها، حيث يرى أنها «ليست أساسا مشكلة منهج على الاطلاق، وهي لا تعني بمنهج للفهم، بواسطته تخضع النصوص لبحث علمي مثل جميع موضوعات التجربة الاخرى» (غادامير، 2007، صفحة 26)، وإنما المشكلة في الأساس مشكلة أنطولوجية كلية، لذلك «تسعى هذه الدراسات التأويلية، التي تبدأ من تجربة الفن، وتجربة التراث التاريخي إلى تقديم الظاهرة التأويلية بمداها الكامل.

إن المسألة هي أن نميّز في التأويلية تجربة للحقيقة التي لا تحتاج إلى تسويغها فلسفيا فحسب، بل هي في نصيتها، طريقة في صنع الفلسفة، لذلك هي ليست منهاجية في العلوم الإنسانية، بل هي محاولة، لفهم ما هي العلوم الإنسانية حقيقة بتجاوز وعيها الذاتي المنهاجي» (غادامير، 2007، صفحة 27)، وهذه المهمة عسيرة، وافتقدت ضمن أبجديات المنهجية في العلوم الإنسانية، وبالتالي ينبغي تأويل النص من أجل فهمه وتفسيره، وصولا إلى حقيقته، «فمهمة التأويلية تتحدد بعالم المعنى، أي أنّ الفلسفة التأويلية تقتضي الاعتراف بالصراع المستمر لأجل تصيد المعنى، الذي سيصل إلى طروحات ما بعد البنيوية إلى مرحلة اللانهاية» (سعد الله، 2013، صفحة 93)، فالقبض على المعنى الذي هو غاية أي منهج هو من أصعب الرهانات، التي تواجه المؤول، هذا المعنى الذي يصبح أكثر انفلاتا وهروبا وزئبقية، ويرتدي أزياء عديدة ضمن النص، لذلك يصعب القبض عليه، وتصبح الممارسة التأويلية مغامرة تحمل الكثير من المخاطر

والاحتمالات، لذلك تحضر «منهجية غاداميرGadamer التي تتسم بالمقارنة بين العالم المثالي للعالم الفني والعالم الحقيقي، والتركيز على مفهوم الادراك بوصفه منهج فهم، والنظر إلى العمل بوصفه مجسدا لوحدة المعنى، ومانحا التعالي لتلك الوحدة، فضلا عن عدّه عنصر الوعي، مبدأ منهجيا يمكن من خلاله فصل الاختلافات في التاريخ، أو اللغة، أو الثقافة، عن عملية الفهم، ثم الانفتاح على مزيد من الاختلافات» (سعد الله، 2013، صفحة 92)، وهذه العناصر العقلية هي التي تسمح بالتمييز بين مختلف السياقات، وهو ما يمكّن المؤول من تجاوز مشكلات التأويل، والوصول إلى المعنى داخل النص.

أمّا غادامير Gadamer فيرى أنّ الهدف من التأويل كشف الحقيقة العميقة، والأصيلة التي يتضمنها النص، بمعنى أن خلف ما قاله المؤلف في لغة، إلى جانب ثقافته، لابدّ من إيجاد ما كان يريد قوله، لابدّ من البحث لتحقيق الحوار بين النص العقلي للمؤلف، والمضمون العقلي للقارئ، على الرغم من تباعد المكانين، وبالتالي فقراءة النص هي المهمة الكبرى للفهم (سعد الله، 2013، صفحة 109)، ومنها نصل إلى المعاني العميقة للنص، عن طريق اللغة، «فهي الوسيط الكلي الذي تنبسط فيه كل تجربة تخص المعنى، وهي لغة العقل ذاته، وكليتها تواكب كلية العقل، أو بألفاظ أخرى، العقل التأويلي يسهم في تشكل العلاقة العامة، بين اللغة والعقل (قارة، 1998، صفحة 12)» ، والتعايش بينهما في فضاء أنطولوجي شامل وواسع.

**6–معظلة علم التفسير عند غادامير:**

في متابعته للمسار الطويل للتفكير العلمي، وعلم التفسير، سواء في الفلسفة اليونانية، أو الفترة الرومانسية، وصولا إلى فترة الحداثة، أظهر غادامير Gadamer نقدا، ومعارضة شديدين لأسلوب التفكير العلمي المهيمن، فأصول علم التفسير، ترتبط ارتباطا حميما، بالاهتمام بالكشف عن المعنى الصحيح، وهو يكتب عن علم التفسير فيقول: إنه يسعى إلى الكشف من خلال تقنيات خاصة عن المعنى الأصلي للنصوص، في الموروثات أو الأدب ذو النزعة الإنسانية وفي الإنجيل على السواء (هولب، 2000، صفحة 81)، فانخراط علم التفسير مع التراث، حسب غادامير Gadamer يكشف عن مأزق علم التفسير السابق، وفقدان الهيرمنيوطيقا لقيمة وجودية أصلية، وطاقة فعّالة في التحليل والقراءة، تقوم على الفهم، والشرح، والتطبيق، ولكن علم التفسير، قد نسي خلال تطوره الذي كان عسيرا بعض الشيء طاقته الثلاثية كما أنه جرّد آخر الأمر من وظيفة الشرح ووظيفة التطبيق (هولب، 2000، صفحة 81).

ومن أجل تجاوز هذا المأزق الإبستيمولوجي، يقترح غادامير Gadamer، الذي يشبه وضع الفلسفة الغربية، يشمل تخطي هايدغر لعتبة ميتافيزيقية أخيرة في ظواهرية (فينومينولوجا) إدموند هوسرل (هولب، 2000، صفحة 82)، فمهمة علم التفسير كانت تتمثل في فهم النصوص، كما هو الحال عند شلاير ماخرSchleiermacher، والتأويل التقليدي عموما، الذي لا يستبعد سياق المؤلف ونفسيته، والتاريخ والمجتمع، أمّا عنده فسوف تتمّ من خلال الكتابة، التي تحّول النص إلى لغة مكتوبة مستقلة عن السياقات السابقة، التي تعيق المفسّر، ومن ثمّ تنطلق عملية الفهم، ففي

الكتابة تكتسب اللغة خاصيتها الفكرية، لأن وعي الفهم عندما يواجه تقليدا مكتوبا، يكتسب سيادته التامة، حيث لا يعتمد وجوده على أيّ شيء. وهكذا فإنّ وعي القراءة يملك تاريخا على نحو كامن (نيوتن، 1996، صفحة 109)، وهذا الوعي الذي هو وعي تاريخي، والمبني على فكرة انفصال الكتابة، سوف يبثّ حياة جديدة في النص، على مستوى المعنى، ويحّرر النص من سياق المؤلف ونفسيته، ويساهم في تحقيق أهداف المشروع التأويلي، ويفكّ شفرات المشكلة التأويلية، فيحقق التوازن بين مختلف الفرص التأويلية.

وقد حاول هيرشHirsh تبسيط العملية، من أجل تشكيل نظرية خاصة بالتفسير، حيث أقام تفرقة واضحة بين قصد المؤلف، والمعنى الكامن في النص، ورفض التركيز على ما يعنيه المؤلف ويقصده، أو ما أراد أن يعبّر عنه (قطوس، 2006، صفحة 207)، وهذا يتمّ من خلال المتلقي، الذي يمتلك أفقا معرفيا وتاريخيا، يسمح له بتقديم مختلف البدائل والاحتمالات التأويلية، «وما النص إلاّ مناسبة للمعنى، وهو بذاته شكل غامض خالي من الوعي، حيث يسكن المعنى ولا يمكن أن يمتلك أحدا معاني النص، ادّعاء أكبر من ادّعاء المعنى الآخر، على أساس أنّه يستمد من طبيعة التفسير لأنّ المعاني المفسرة جميعا متساوية وجوديا، فهي جميعا تقرأ على قدر واحد» (نيوتن، 1996، الصفحات 112-113)، وبالتالي لا يمكن أن تقييد عملية التأويل من وجهة معيّنة فقط، ولكن ينبغي منحها بدائل متعددة، ويتّم فتحها على أرجاء واسعة، من أجل الوصول إلى المعنى أو المغزى، وهذا يتمّ طبعا، عبر فسح المجال للقارئ، في ممارسة عملية القراءة والتأويل وإنتاج المعنى، وتخصيب الدلالة داخل النص.

وبهذا الشكل يمكن القول أنّ هيرش Hirsh، وفي إطار تأثره بنظرية القراءة، حاول إخراج علم التفسير من إطاره الفلسفي المحض، ودمجه في إطار علم واسع، خاص بتفسير النصوص، حيث يتيح للقارئ فرصة فهم وتأويل النص، وفق ميكانيزمات، وآليات خاصة به في عملية التحليل، ويراعي فيها مرجعيات إنتاج النص، في سياقه التاريخي والاجتماعي.

فلم تصبح معظلة الفهم والتفسير، منحسرة في إطار الكتابة واللغة، كما أشار إلى ذلك غادامير Gadamer، ولكنها معظلة معقدة، وأوسع وأشمل من ذلك بكثير.

**7-سؤال الفهم/اللغة:**

يعدّ الفهم أحد المنطلقات النظرية الرئيسية في تفسير الظواهر الإنسانية، فلا يمكن لأي باحث مشتغل في هذا الحقل الدراسي الاستغناء عنه، أو المرور عليه، والفهم يمثل «العملية المعرفية المتميزة التي تستهدف استيعاب المحتويات العقلية الكامنة في كل تعبيره، ولما كان الفهم عملية معرفية فهو يتصل من ثمّ بالمعرفة أو الإبستيمولوجيا» (حنفي، 1993، صفحة 23)، لذلك فهو محطة مهمة في مسيرة العلوم والمعارف، لهذا كان سؤال الفهم من أعقد الأسئلة التي واجهت هذا المفكّر، حيث «يركز غادامير Gadamer بشكل أساس على معضلة الفهم باعتبارها معضلة وجودية» (يد ن.، 2003، صفحة 10)، فقد شكّل السؤال المركزي في بحثه، خصوصا طبيعة الفهم في مجال العلوم الإنسانية، لكن بلوغ مرتبته ليس بالأمر الهين «إن ما يجعل من مسألة بلوغ الفهم ممكنة هي اللغة التي توفر الوسيط أو الأرضية الوسطى

والمكان الذي يحدث فيه الفهم وهي وسيط للتواصل» (إبراهيم، 2011، صفحة 130)، لذلك خصص لها جزء في الفصل الثالث، لينتهي في الأخير بالعودة لموضوع علم الجمال، خاصة ما يتعلق بجمالية النصوص الفنية التي تستثمر لعبة المجاز والاستعارة، ويمثل الأدب جزءا منها، «ولهذا فإن أي نص أدبي ظهر في حقبة زمنية من الزمن ليخاطب المتلقي بمدلوله الحرفي يصبح في حقبة زمنية أخرى نصا لا قيمة لمدلوله ذاك، وإنما ينظر إليه باعتباره نصا مجازيا فقط، وقد أخضعت لهذا النظر نصوص لاهوتية من العهد القديم، ونصوص من العهد الجديد، وأخرى من فلسفة الاغريق، وكتابات عصر النهضة وما بعده» (إبراهيم، 2011، صفحة 130)، كل هذه النصوص التي تنتمي إلى العلوم الإنسانية تخضع لسياقات زمنية وتاريخية تحدد مسار الفهم عكس العلوم الطبيعية، لذلك أعاد دليتاي Dilthey الاعتبار للتجربة في تشكيل الفهم لكنه لم يفصلها عن العلوم الطبيعية، في حين غادامير Gadamer اعتبر أنّ الفهم ليس مكملا لمناهج العلوم الطبيعية، حيث «يسعى إلى إبراز العنصر المشترك بين كل أنماط الفهم، وإعلان أنّ الفهم ليس سلوك ذاتي اتجاه موضوع، يفترض أنه معطى، بل هو ينتمي وجود ما هو قابل للفهم، وبين تقنيات البحث ومناهجه المقررة من جانب علوم الروح» (قارة، 1998، صفحة 54).

كما انتقد بدوره ديلثاي Dilthey، حيث يرى أنه، «فشل في تقسيمه للمنهج العلمي، ومقابلته بين علوم الروح وعلوم الطبيعة، فمن الأفضل أن نخاطر بمعارضة أكثر جذرية بين الحقيقة والمنهج، بحيث أنّ البنية المشتركة التي توحّد بين الظواهر التأويلية، تتمثل في مقاومة الحقيقة والمعنى» (قارة، 1998، صفحة 10)، ليكون التأويل فرعا من الفهم، وقطعة أساسية ضمن معماره التأويلي.

### 8-الهرمنيوطيقا Herméneutique كبديل منهجي عند غادامير:

إنّ الممارسة التأويلية تتأسس حسب هانز جورج غادامير Hans Georg Gadamer، بوصفها منهجية في فهم النصوص، وطريقة للنظر في باطن الخطاب ومعاينة عميقة لمضمراته، ولكنها تبقى استراتيجية خطيرة، وعملية حذرة جدّا وغير آمنة في التعامل مع النصوص، فبإمكانها إيقاع المؤول في الزلل والخطأ، وسوء الفهم، وهي تقف إلى الجانب الآخر من الطروحات السوسيولوجية، والسيكولوجية، والبنيوية، والوصفية، والوضعية، لذلك غادامير Gadamer «في كتابه الحقيقة والمنهج يطرح الهيرمنيوطيقا لا من أجل تقديم منهج جديد أفضل، بل من أجل مسألة منهجية، وعلاقتها بالحقيقة» (هولب، 2000، صفحة 78)، فهو يضعها في إطار منهجه الأنطولوجي الشامل، من أجل بلوغ الحقيقة وهذا يتمّ عبر تشغيل الخيال والعقل معا، لبلوغ التخوم القصوى للمعنى، وافتضاض آفاق بكر أمام عملية التفكير والإبداع فالهيرمنيوطيقا Herméneutique بهذا المفهوم تمثل استراتيجية في القراءة، تعتمد آلية الحفر والتنقيب، والكشف، والبحث عن البنى الخفية، أو المضمرة عبر فضاء أنطولوجي واسع، وعبر رؤية فكرية ومنهجية، تهدف إلى خلخلة أو تصديع بناء النص بحثا عن الحقيقة، ووصولا إلى الفهم الصحيح لها في إطاره الأنطولوجي.

إنّ الهيرمنيوطيقا كنظرية عامة، هي محاولة لإنشاء استراتيجية في الفهم، تتفادى الانحرافات والانزلاقات، وتسعى نحو إبراز الجوانب المشتركة، بين أنماط الفهم المختلفة، لتقيم في أفق أنطولوجي، تتأسس معه معالم مشروع تأويلية شاملة، هكذا تكون الهيرمنيوطيقا Herméneutique استراتيجية منهجية بديلة في فهم النصوص والظواهر، ضمن العلوم الإنسانية عامة والاجتماعية، وهذه الاستراتيجية من هذه الزاوية ليست محدودة في مسعاها المنهجي، وإنما هي ثورية في الحقل المنهجي، حيث تحاول قلب المفاهيم، والتصورات التقليدية، حول طرق تفسير الظواهر الإنسانية والاجتماعية، وإزاحة وزعزعة، مختلف الطروحات الجزئية، والذاتية، ضمن هذا الحقل العلمي، فهي مغامرة منهجية ترمي إلى البحث والتنقيب عن الحقيقة، في إطار شامل لعملية الفهم، حيث يتم خلالها مساءلة، مجموعة من الفهوم والتفسيرات التقليدية، التي استمرت عبر قرون، وأضفى عليها الفلاسفة، على مرّ العصور صفة القداسة، ومن ثم تقديم منهجية علمية معينة في فهم النصوص، تقوم على فكرة أن للفهم أفق تاريخي مرتبط به، ويحدد مساره التأويلي، كما يمتلك نظاما أساسيا يساهم في توجيهه.

ومن هنا تبدو الهيرمنيوطيقا Herméneutique طريقة خاصة في نقد النصوص، وفهم الظواهر الإنسانية، وإحداث قطيعة مع المناهج السابقة، لفسح المجال أمام مسألة المنهج، وذلك بأن تقيم في أفقها الكلي المنفتح، على الوجود والتاريخ والمجتمع، وجعل المنهجية التأويلية، تحتل الموضع الأساس والقاعدي، ضمن هذا الأفق، من أجل معرفة ما تقوله النصوص من حقائق مغيّبة.

هكذا إذن حملت الهيرمنيوطيقا Herméneutique على عاتقها، مسؤولية فهم وتفسير النصوص، لتضع نفسها كبديل منهجي في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية.

**9-أنطولوجيا العمل الفني ودلالته التأويلية:**

بحث غادامير Gadamer عن مفهوم الحقيقة في الفن والتاريخ والفلسفة، ومنح الفن أهمية كبيرة في مشروعه التأويلي ولم يجعل الهدف من الفن المتعة الجمالية فحسب، وإنما مهمته سامية، لأنها ترتبط بالوجود الكلي للإنسان، فالعمل الفني هو تجسيد لتجربة وجودية قبل كل شيء، تتم عن طريق اللعب، الذي يفرض نوعا من الجدية، وليس للمتعة فقط، والأهم من ذلك كله أن اللعب نفسه، يحمل صفة القداسة والسمو، لأنه يرتقي بالفنان إلى مرتبة الوجود.

والعمل الفني ليس موضوعا يقف في مواجهة ذات قائمة في ذاتها، «بل إن العمل الفني يحقق وجوده الفعلي متى ما أصبح تجربة تحدث تغييرا في الشخص الذي يجربه، فالذات ليست الذات الثابتة والباقية، ليست ذاتية الشخص الذي يجربه، إنما هي العمل نفسه، وهذه هي النقطة التي يصبح فيها نمط وجود اللعب وجود ذا دلالة» (غادامير، 2007، صفحة 173)، ومعنى أساسي ضمن مشروع التأويلية، فهو «كما يراه غادامير Gadamer له بعد وجودي لإعطاء التأويلية خبرة جمالية ودلالية» (سعد الله، 2013، صفحة 122)، تعينها على فهم الوجود الإنساني بتفاصيله الدقيقة، وهو ليس مجرد نشاط إبداعي للتسلية والمتعة، «إنه يضمن نوعا من الجدية إذا تجاهلها أحد المشاركين تفسد اللعبة ودور

المبدع في العمل الفني كدور اللاعب في اللعب يحاول تشكيل تجربته الخاصة به، وجوديا وبشكل ثابت لتصبح أكثر انفتاحا على الأجيال الجديدة» (سعد الله، 2013، صفحة 122)، فيصبغها بطابع وجودي يرفعها إلى مراتب أسمى فالأعمال الفنية العظيمة بهذا الشكل لا تروم المتعة الفنية والجمال الحسي، المرتبط بالحواس الظاهرة للإنسان، ولكنها تروم إلى متعة أرقى وأسمى، هي متعة البحث عن الحقيقة وإدراك شعلتها، وقبسها المنبعث خلف زوايا العمل الفني، إنها متعة البحث عن المطلق، والحلول فيه والعيش في أحضانه، في علاقة صوفية، وروحية، نقية وصافية، ولا ترتبط بالموجود الإنساني الحسي والزائف، فهي تريد أن ترتقي بالعمل الفني، وتقيم معه في أفق أنطولوجي سامي، بعيدا عن الموجود، ف«مادة الفن الحقيقة الوجودية التي يشكلها الفنان في العمل الفني، وهذه الحقيقة تتغير وتتحول تحولا كاملا، وتنصهر في الشكل لتصبح معطى جديد ثابتا قابلا للمشاركة» (يد ن.، 2003، صفحة 39)، وتفتح العمل الفني أمام الأجيال اللاحقة، لتصنع تأويلات جديدة ومتجددة للعمل الفني.

**10–مفهوم الأفق التاريخي:**

التاريخ حسب غادامير Gadamer ليس مستقلا عن الماضي، وعن أفق تجربتنا الحاضرة، فالوجود الإنساني تاريخي ومعاصر في نفس الوقت، «فالحقيقة التي يتضمنها العمل الفني، كمثيلتها في الفلسفة والتاريخ حقيقة ليست ثابتة، ولكنها تتغير من جيل إلى جيل، ومن عصر إلى عصر، طبقا لتغير أفق التلقي، وتجارب المتلقين، ولكن الوسيط، أو الشكل الفني الثابت، هو الذي يجعل عملية الفهم ممكنة» (يد ن.، 2003، صفحة 41)، كما يسهّل على المؤول تفكيك الأحداث وذلك بوضعها في إطارها التاريخي الأصلي والصحيح، لذلك «كانت دعوة غادامير Gadamer إلى فهم تاريخي وإلى وعي تاريخي، يوصف ذلك شرطا أساسيا من شروط أية ممارسة تأويلية في نظره، وهذا يعني أن السياق التاريخي الذي خلق فيه الأثر، يتحدد مع أفكار المفسّر الشخصي حيث يكون رأي الأخير حاسما، في إعادة إحياء معنى النص، ويسمي غادامير Gadamer ذلك بأنه انصهار آفاق، أي أفق النص وأفق المؤول(المتلقي)» (الناصر، 1999، صفحة 109) وهو نوع من الاشتراك النصي، باصطلاح أمبرتو إيكوUmberto Eco.

ويطرح غادامير Gadamer فكرة الأفق المستقل للنص الأدبي، فهو يرى أنّه ليس هناك أفق فاصل بين الأفق الماضي والأفق الحاضر، وفي هذا الصدد يقول: «عندما يضع وعينا التاريخي نفسه خلال الآفاق التاريخية، فإن هذا لا يستتبع العبور إلى عوالم غريبة، لا ترتبط إلى أيّ نحو بعالمنا، ولكنها مجتمعة تكوّن الأفق الواحد الكبير، الذي تحرّك من داخله والذي يعانق فيما وراء حدود الحاضر، الأعماق الداخلية لوعينا الذاتي، إنه أفق واحد في الحقيقة، ذلك الذي يعانق كل شيء احتواه الوعي التاريخي» (هولب، 2000، صفحة 85)، فالوعي التاريخي لا ينفصل عن الإطار الأنطولوجي الشامل، وحتى الفهم هو وعي تاريخي، بحيث أصبح واعيا بنفسه.

وفي مسألة علاقة هذا الفهم بالتراث، يرى أنّ «الحقيقة هي أنّ الفهم التاريخي، يشتمل دائما على فكرة أنّ التراث الذي يصل إلينا يتحدث إلى الحاضر، وعلى أنه ينبغي فهمه بهذه البساطة، وهو على الأصح بوصفه هو هذه الواسطة، ومن

ثمّ فإن علم التفسير المشروع ليس في الواقع حالة خاصة على النقيض، مهيّأ لأن يستعيد المجال الكامل للمشكلة التفسيرية السابقة، التي يلتقي فيها الفقيه ورجل الدين، مع دارسي العلوم الانسانية» (هولب، 2000، صفحة 86)، لذلك ينبغي فهم التراث في إطار تفسير فلسفي تاريخي واسع، حيث يتعدّى حدود تفسير الوضع الآني الذي نعيشه، وإنّما مساءلة الحاضر، من أجل استشراف المستقبل، وهذا هو هدف الممارسة التأويلية للتراث.

**11-خاتمة:**

في ختام هذه الورقة البحثية التي تناولت قضايا الفهم والتأويل في كتاب "الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية" لهانز جورج غادامير Hans Georg Gadamer تمّ التوصّل إلى النتائج التالية:

-يمثل غادامير Gadamer قامة فلسفية ونقدية بارزة ضمن المدرسة التأويلية الألمانية، والاتجاه الهيرمنيوطيقي الغربي والأوروبي المعاصر، وهو يمثل قاعدة أساسية ضمن المعمار الفكري لنظرية التأويل والفهم.

- شهدت نظرية التأويل مع هانز جورج غادامير Hans Georg Gadamer جملة من التغيرات، والتطورات على الصعيد المنهجي، خصوصا في قراءة وتأويل العلوم الإنسانية، وقد ظهر جليا نشاطه العلمي كمشروع فلسفي يحمل الكثير من مظاهر التجديد، وهذا ما يساعد أيّ مفكر أو ناقد على تبني مشروع التأويل، حيث تطور معه النشاط التأويلي ليكتسب نشاطا جديدا وفاعلية أخرى، خصوصا من ناحية وضع الآليات المعينة على الفهم الصحيح.

-نهل هذا المشروع الفلسفي من مشاريع فلسفية سابقة عليه، كالفلسفة الكانطية، والهيجيلية، إضافة إلى فلسفة ديلتاي Dilthey وهيدغير Heidegger، والتأويل الأنطولوجي للوجود الانساني، وكانت هذه اللحظة الفلسفية بارزة ضمن كتابه النقدي والفلسفي "الحقيقة والمنهج"، وقد حاول من خلال هذه كتابه هذا، تقديم تصّور جديد لفعل الفهم والنشاط التأويلي، يملك فعالية إجرائية في فهم الخطابات الإنسانية والفنية والوصول إلى المعنى داخلها، حيث وسّع من فضاء التأويل والفهم، ليفتحه على آفاق عديدة ضمن فضاء أنطولوجي أوسع.

-هذه الأفكار العلمية الجديدة تعتبر فتحا علميا ومنهجيا جديداّ وقراءة أخرى للعلوم الانسانية، ومن ضمنها النصوص الفنية والأدبية، التي شهدت تطورا في طرائق الكتابة والاشتغال اللغوي والفني، لذلك يجب على المؤول ابتكار آليات جديدة في تأويل هذه النصوص، والانطلاق في تجربة تأويلية جديدة، وهي ليست تجربة هينة بل تحمل الكثير من المصاعب والعراقيل.

-أسهم مشروع هانز جورج غادامير Hans Georg Gadamer ، هذا في تعميق الوعي بمفعول التأويل والفهم في الوصول إلى المعني داخل النصوص، ودورهما في تخصيب الدلالة، وقد توصّل هانز جورج غادامير Hans Georg Gadamer إلى أنّ نشاط التأويل هو جزء من الفهم، حيث ينصهلان معا في تجربة وجودية تسمو بالعمل الفني الذي يتجاوز نطاق التوصيل والرسالة الاجتماعية للفن، أو الطبيعة البرجماتية له، وبالعودة إلى كتابه "الحقيقة والمنهج

الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية" سوف نلمس العديد من المباحث المتعلقة بالمسألة الهيرمنيوطيقية، وطرائق الفهم الصحيح والتأويل الوجودي للعمل الفني، وقد استثمر مجهوداته الكبيرة، في وضع الآليات الفعّالة في ممارسة النشاط التأويلي الذي يقود نحو الفهم الحقيقي، وهذا ما فرض عليه الاعتماد على فلسفات كثيرة لتشكيل مشروعه الفلسفي خصوصا فلسفة هايدغير Heidegger في تأويل الوجود.

-استمد أفكار هذا الفيلسوف الكثير من المفكرين والباحثين في مجالات دراسية متعددة تخص العلوم الانسانية، وفي الكثير من بقاع العالم، خصوصا في حقل المناهج التأويلية، وقد صار كتابه هذا مرجعا مهمّا لكل مشتغل بمنهجية الفهم والتأويل داخل النصوص والخطابات.

-وعموما تمثل هذه النقاط مجموعة من الأفكار والتصوّرات والمواقف، التي تخص فكر غادامير Gadamer من خلال كتابه العمدة "الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية"، حيث حاول طرحها ضمن حيّز وجودي، مستفيدا من أفكار أستاذه هايدغير Heidegger، وقد كان تركيزه منصبّا حول طرائق الفهم في العلوم الإنسانية عموما والعمل الفني خصوصا، الذي يمثل أهمّ لحظات التجلي الكلي للوجود، والأكيد أنّ هذا الطرح كان مختصرا، ولكنه قدّم رؤية واضحة حول تصوّر هذا المفكر والفيلسوف، لقضايا الفن والمنهج والجمال والممارسة التأويلية عموما.

**-قائمة المراجع:**

**1-**هانس جورج غادامير، تر: حسن ناظم وحاكم صالح، (2007)، ط1، الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ليبيا، دار رؤيا للنشر والتوزيع.

2-نبيهة قارة، (1998)، ط1، الفلسفة والتأويل، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر.

3-نصر حامد أبو زيد، (2003)، ط1، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، بيروت-الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

4-ميجان الرويلي وسعد البازعي، (2003)، ط1، دليل الناقد الأدبي، بيروت-الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

5-بسام قطوس، (2006)، ط1، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

6مُحَمَّد سالم سعد الله، (2013)، ط1، الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، الأردن، عالم الكتب الحديث

7-روبرت هولب، تر: عزالدين إسماعيل، (2000)، ط1، نظرية التلقي مقدمة نقدية، القاهرة، المكتبة الآكاديمية.

8-ك.م.نيوتن، تر: عيسى علي العاكوب، (1996)، ط1، نظرية الأدب في القرن العشرين، القاهرة، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية.

9-حسن حنفي وآخرون، (1993)، قضايا العلوم الإنسانية وإشكالية المنهج، بيروت، دار الهادي للنشر والتوزيع.

10-إبراهيم محمود خليل، (2011)، ط4، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع.

11-عبد الناصر حسن مُحَمَّد، (1999)، ط1، نظرية التوصيل الأدبي، القاهرة، المركز المصري لتوزيع المطبوعات.